العدد 19 تشرين الثاني 2025
المجلة العراقية للبحوث الانسانية والاجتماعية والعلمية
No.19 – Nov 2025 Iraqi Journal of Humanitarian, Social and Scientific Research
Print ISSN 2710-0952 Electronic ISSN2790-1254

الدلالة الزمنية لصيغ الأفعال في القرآن الكريم وأثرها في توجيه التفسير: دراسة تطبيقية في سورتي النحل والكهف

م. د. أحمد علي شلال
جامعة سامراء / كلية العلوم الإسلامية
التخصص العام (فلسفة علوم القرآن الكريم والتربية الإسلامية)
ahmed.ali.sh@uosamarra.eddu.iq

The Temporal Significance of Verb Forms in the Holy Qur'an and Their Impact on the Direction of Exegesis: An Applied Study in Surahs Al-Naḥl and Al-Kahf

Dr. Ahmed Ali Shallal
University of Samarra / College of Islamic Sciences
General Specialization: Philosophy of Qur'anic Sciences and Islamic Education
ahmed.ali.sh@uosamarra.edu.iq

الخلاصة

تبحث هذه الدراسة الدلالة الزمنية لصيغ الأفعال في الخطاب القرآني وأثرها المباشر في توجيه التفسير، عبر تأصيلٍ يميّز بين الزمن (الماضي/المضارع/المستقبل) والجانب (إنجاز/استمرار/عادة) والمزاج (خبري/إنشائي)، وبناء إطارٍ ترميزيّ يوحِّد قراءة الصيغة مع أدواتها (قد، سـ/سوف، لم/لن/لما، كان الناقصة) وروابط النظم (ثم/فـ/الواو) والقرائن السياقية (إذ/إذا/الحال). ويُطبَّق الإطار على سورتي النحل والكهف: ففي النحل تُستعمل صيغة الماضي للمستقبل تحقيقاً لليقين ﴿**أتى أمر الله**﴾، ويتكثّف المضارع للدلالة على الدوام التشريعي وسنن النِّعم ﴿**إن الله يأمر**... **نسقيكم**...﴾، بينما تبني كان خلفياتٍ زمنية تُسنِد الأحكام. وفي الكهف يغلب المضارع التصويري لاستحضار المشهد ﴿**وترى الشمس**... **تزاور**...﴾ وتَضبط السينُ استقبالَ الجدل ﴿**سيقولون**﴾ مع توظيف كان في التعليل السردي ﴿**وكان أبواه مؤمنين**﴾. خلصت الدراسة إلى قواعدَ عمليّة: قراءة الصيغة مع الأداة والسياق قبل القياس الصرفي، والحذر من إسقاط ترتيبٍ زمني على الواو، واعتبار التراخي في (ثم) رتبياً لا زمنياً عند القرائن، وحمل (قد) مع الماضي على التحقيق غالباً ومع المضارع على التوقّع/التقليل بحسب المقام. يقترح البحث نموذجاً قابلاً للتعميم على سورٍ أخرى بما يحدُّ من تذبذب الترجيحات التفسيرية.

الكلمات المفتاحية: الدلالة الزمنية؛ صيغ الأفعال؛ الزمن–الجانب–المزاج؛ أدوات الزمن القرآنية؛ كان الناقصة؛ قد/سوف/لن؛ الربط النصي؛ سورة النحل؛ سورة الكهف؛ التفسير.

Abstract

This study examines the temporal semantics of Quranic verb forms and how they shape exegetical decisions. It distinguishes tense, aspect, and mood, then proposes a coding framework that jointly reads verbal form with its particles (May, will/will, did not/will not/when, the defective verb "was"), the conjunctions (then/then/and), and the contextual clues (when/if/the state). Applying the framework to Sūrat al-Naḥl and Sūrat al-Kahf shows in al-Naḥl, the past-for-future signals certainty ﴿**أتى أمر الله**﴾, while the present often encodes

habitual/ongoing legislation and divine favors ﴿**إن الله يأمر… نسقيكم**…﴾. In al-Kahf, the narrative present creates vivid scenes ﴿**وترى الشمس… تزاور**…﴾, "*will*" marks have anticipated disputation ﴿**سيقولون**﴾, and "*was"* builds explanatory background ﴿**وكان أبواه مؤمنين**﴾. The study formulates operational rules: read form with its particle and context before morphological default; avoid imposing chronology on "*and"*; treat "*when*" as often ranking (not merely temporal) when signaled by context; take *"may"* with the past as achievement by default and with the present as expectation/attenuation depending on discourse. The framework is portable to other sūras and can stabilize exegetical preferences by aligning them with Quranic usage patterns.

Keywords: temporal semantics; verb forms; tense–aspect–mood; Quranic particles; kāna backgrounding; past-for-future; narrative present; discourse connectors; An-Naḥl; Al-Kahf; exegesis.

المقدمة:

الحمدُ للهِ ربِّ العالمين، حمداً يليقُ بجلالِ وجهِه وعظيمِ سلطانِه، والصلاةُ والسلامُ على سيّدِنا محمدٍ النبيِّ الأمين، وعلى آله وصحبِه أجمعين. أمّا بعد؛

فإنّ اللغة في الخطاب القرآني ليست مجرّد وعاء للمعنى، بل هي جزءٌ من بنائه الدلالي وهدايتِه؛ تُسهم صيغ الأفعال وأزمنتها، مع ما يلابسُها من أدوات وقرائن سياقية، في تشكيل زوايا الفهم وتوجيه التفسير. ويكفي شاهداً أنّ القرآن قد يعبّر بالماضي عما سيقع مستقبلاً تحقيقاً وتوكيداً كقوله تعالى: ﴿**أتى أمرُ اللهِ فلا تستعجلوه**﴾، أو يستحضر المشهد بالمضارع تصويراً وإيحاءً كما في وصف أصحاب الكهف: ﴿**وترى الشَّمسَ إذا طلعت تزاورُ عن كهفِهم…**﴾، أو يضبط الاستقبال بقرائن لفظية صريحة كـ﴿**سيقولون**﴾، ويؤطِّر الخلفيّةَ الزمنيةَ بـ(كان) وأخواتِها. وبحسب تعيين هذه الإشارات الزمنية—مع الروابطِ النصيّة كـ(ثمّ) و(فـ) وأدوات النفي والتقليل والتحقيق—تختلف مسالك المفسّرين في تحديد المقصود وترتيب اللوازم والمعاني.

من هنا تتبدّى مشكلةُ هذا البحث: كيف تؤثِّر الدلالة الزمنية لصيغ الأفعال—ماضياً ومضارعاً وأمراً—وما يتّصل بها من أدواتٍ وقرائن، في توجيه المعنى التفسيري في نصٍّ قرآنيٍّ بعينه؟ وتتخصّص هذه الدراسة بتطبيقٍ على سورتي النحل والكهف لما فيهما من تنوّع لافت في أنماط الزمن والجانب (التمام/الاستمرار/العادة) ووظائف الخطاب؛ فسورةُ النحل تجمعُ بين الحِجاج العقديّ، واستعراض النِّعم، والتشريع العام، بما فيه من مضارع دالّ على الدوام والسنن الجارية، وماض تحقيقيّ للتاريخ الرسالي؛ أمّا الكهف فتغلبُ عليها المشاهد السرديّة ذات المضارع التصويري، مع حضور كثيف للخلفيّة الزمنية في قصّة الخِضر، واستعمال أدوات الاستقبال لضبط الجدل وتوجيه الخطاب. ويُطرح السؤال المركزي بصيغة جامعة: ما أثر تعيين الزمن والجانب والمزاج، مقروناً بالقرائن اللفظية والسياقية، في ترجيح التفسير وتحديد مراد النصّ في هاتين السورتين؟ ويتفرّع عنه أسئلة فرعية تتّصل بحدود الماضي للتحقيق أو الاستقبال، ووظائفِ المضارع بين الحال والاستمرار والحكاية، وأثر (كان) في بناء الخلفيّة، ودور الأدوات (قد/س/سوف/لم/لن/لما) والروابط (ثم/فـ) في ترتيب الدلالة.

وتنبع أهميّةُ البحث من وجوهٍ عدّة: فهو يمدّ درس التفسير الموضوعيّ بأداة لسانيّة دقيقة تؤطِّر الاختلاف وتعيد قراءته على ضوء نظام اللغة واستعمالاتها القرآنية؛ ويُسهم عمليّاً في ضبط مواضع يترتّب فيها على تحديد الزمن أثر عقديّ أو تشريعيّ أو تربويّ؛ كما يقترح نموذجاً إجرائيّاً قابلاً للتعميم على سُور

أخرى، جامعاً بين معطيات النحو والبلاغة ونظريّات الزمن والجانب في اللسانيّات الحديثة ومباحث (علم المناسبة) والربط النصّي.

وتبتغي الدراسة تحقيق أهداف مترابطة: أوّلها تأصيل المفاهيم الفارقة بين الزمن والجانب والمزاج، وبيان حدود كلّ منها في العربيّة القرآنية؛ وثانيها بناء إطار منهجيّ لترميز الأفعال وقرائنِها الزمنية، يُحدّد الصيغة والأداة والجانب والوظيفة الخطابية والأثر التفسيريَّ المحتمل؛ وثالثها تطبيق هذا الإطار على سورتي النحل والكهف لاستخراج المواضع المحورية وتحليلها على ضوء الأقوال التفسيرية؛ ورابعها صياغة قواعد استرشادية تضبط التعامل مع الدلالة الزمنية في التفسير وتُعين على الترجيح حين تتعدّد المحتملات.

وبهذا البناء تسعى المقدّمة إلى تمهيد الطريق لفصل تأصيليّ يضع اليد على مفاصل الزمن والجانب والمزاج وأدواتهما، يعقبه فصل منهجيّ يُفصِّل إجراءات التحليل قبل الانطلاق إلى التطبيق. نسأل اللهَ أن يُلهمنا الصواب، ويجعله عملاً خالصاً نافعاً، والحمد لله ربّ العالمين.

المبحث الأوّل: التأصيل النظري للدلالة الزمنية في العربية القرآنية

ينصرف هذا المبحث إلى التأصيل النظري للدلالة الزمنية في العربية القرآنية، مؤسساً لقراءةٍ منهجيةٍ تربط بين صيغ الأفعال (ماضٍ/مضارع/أمر) ودوائرها الدلالية من حيث الزمن والجانب (الإنجاز/الاستمرار/العادة) والمزاج (الخبري/الإنشائي)، على أن يُستثمر هذا التأصيل في المبحث اللاحق. وسيتوزّع على مطلبين:

المطلب الأوّل: المفاهيم الأساسية (الزمن، الجانب، المزاج) وصلتها بصيغ الأفعال.

المطلب الثاني: أدوات الزمن والقرائن السياقية المؤثّرة في توجيه الدلالة (قد، س/سوف، لم/لن/لما، كان الناقصة، إذا/إذ، ثم/فـ... إلخ) وموقعها من التفسير.

المطلب الأوّل: المفاهيم الأساسية (الزمن، الجانب، المزاج) وصلتها بصيغ الأفعال

يقومُ مفهوم الزمن في العربية على تعيين العلاقة بين الحدث ووقت التكلّم: ماضٍ انقضى، حالٌ يُعايَن، واستقبالٌ يُتوقّع، غير أنّ هذا التقسيم لا يعملُ في فراغٍ؛ إذ تتدخّل القرائن والسياق والمفهوم، لتحديد طبيعة الحدث: أهو منجز تامّ أم جارٍ مستمرّ أم عادةٌ مطّردة؟ ومن ثمّ لا تُقرأ الصيغ وحدها، بل تُقرأُ مع ما يلابسها من أدوات وظروف وربط نصّي. وقد نبّه اللغويون المعاصرون إلى ضرورة التمييز بين الزمن النحوي والجانب الدلالي، لأنَّ (المضارع) قد يدلُّ على الحال أو الاستقبال أو العادة بحسب المقام.[1]

1. الصيغ الزمنية وأصولها

جرى النحاة على أنّ للأفعال في العربية ثلاثة صيغٍ رئيسة: الماضي لما وقع وانقضى، والمضارع لما يكون ويستقبل، والأمر للطلب والإنشاء. وهذا التقسيم—على إجماله—هو البابُ الذي تُردّ إليه سائرُ التنويعات الأسلوبية؛ إذ لا يخرج استعمال الماضي للمستقبل أو المضارع للحكاية عن كونه مجازاً زمنياً تُعضّده قرائن السياق. وعند سيبويه يُبنى التحليل على التصرّف في الأبنية والزيادة والنقصان، مع ملاحظة دلالة الزمن الكامنة في الصيغة وأدواتها التابعة.[2]

2. تحديد الزمن بالمقام لا بالصّيغة وحدها

تقرّر كتب الصناعة أنّ المضارع "بين بين"؛ قد يُستعمل للحال إذا دلّت القرائن على المعايَنة

[1] ينظر: اللغة العربية معناها ومبناها: تمام حسان، تمام حسان، بلا محقّق، ط.3، عالم الكتب، القاهرة، 2004م، 270/1.

[2] ينظر: الكتاب: سيبويه، عمرو بن عثمان بن قنبر، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، الط.3، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1988م، 35/1.

﴿**وتحسبهم أيقاظاً**﴾، ويُستعمل للاستقبال إذا تقدّمه ما يدلّ على الاستقبال ﴿**سيقولون**﴾، وقد يُستعمل للعادة إذا خلا عن قرينةٍ خاصّة وجاء في مقام العموم ﴿**يأمر بالعدل**﴾. أمّا الماضي فقد يُحمل على التحقيق لما فيه من معنى الوقوع إذا أريد الإيجاز والقطع ﴿**أتى أمر الله**﴾. ومن هنا، كان النظرُ إلى الصيغة مع ملابساتها واجباً، وإلى السياق الأوسع في السورة مقصداً.[3]

3. المفهوم بين التمام والاستمرار والاعتياد

تميّز الدراسات الدلالية بين الزمن والمفهوم: فالأول يحدّد موقع الحدث من زمن الكلام، والثاني يحدّد هيئة الحدث نفسه: أنجز/شرع/استمر/تكرّر. وتبدو هذه الفوارق في العربية عبر وسائل صرفية ونحوية: اقتران الفعل بـ(قد)، أو دخول (كان) الناقصة، أو استعمال الظروف الدالة على التكرار، أو لواحق تدل على الاستمرار. لذا فقراءة الدلالة الزمنية دون جانبها تُنتج توهّماً في تفسير النصّ.[4]

4. اقتران الزمن بالأداة (قد) نموذجاً

تعمل قد مع الماضي على إفادة التحقيق: قد جاءكم من الله نور، ومع المضارع على التقليل أو التوقّع بحسب المقام: قد يعلم الله المعوّقين. وهذا الاختلاف يؤكّد أنّ الأداة تُقيّد الزمن وتوجّهه، وأنّ الفهم التفسيري ينبغي أن يلحظ هذه الآلية الدقيقة بين الصيغة والأداة والمقام.[5]

5. (كان) الناقصة: بناءُ الخلفية الزمنية والدوام النسبي

يشيع في التعبير القرآني مجيء كان الناقصة لتشييد خلفية زمنية تُسنِد الأحكام والوقائع؛ كما في ﴿**وكان الله غفوراً رحيما**﴾؛ فيقرأها أهل البيان على الدوام الثابت بحسب ما تقضي به القاعدة في صفات الله، ويقرأها النحاة على دوامٍ نسبيّ يُفهَمُ من مقام الخطاب. وتأتي (كان) في السرد لبناء أرضيّة لمعلومة لازمة لفهم العلّة والحكم كما في قصة الخضر: ﴿**وكان أبواه مؤمنين**﴾.[6]

6. المزاج؛ خبريٌّ وإنشائيٌّ وموقع الأمر والنهي

إذا كان الزمن والجانب يصفان علاقة الحدث بزمانه وهيئته، فإن المزاج يصف موقف المتكلّم من الحدث: تقريراً أو طلباً أو تمنّياً. والأمر—مزيج من زمن مستقبليّ ومزاج إنشائي—يتلوّن بالوجوب، أو الندب، أو الإرشاد، أو التهديد تبعاً للسياق؛ والنهي يُقيّد الاستقبال في الغالب بـ(لا الناهية). ويترتّب على تحديد المزاج أحكامٌ تفسيرية، منها حمل الأمر على الفور أو التراخي، أو تقييد النهي بزمن مخصوص.[7]

7. ظرفا الزمان (إذا/إذ) وتوجيه القراءة الزمنية

يُستصحب أنّ (إذ) ظرف ماض في الأصل، و(إذا) للاستقبال أو للحال المفاجئة بحسب التركيب، وأنّ نقل الحدث بينهما يبدّل زاوية النظر: ﴿**إذ قال ربك للملائكة**﴾ تصويرٌ لماض محقّق، و﴿**إذا جاء نصر الله**﴾

---

[3] ينظر: مغني اللبيب عن كتب الأعاريب: ابن هشام، عبد الله بن يوسف، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، ط.1، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1951م، 307/1.

[4] علم الدلالة: أحمد مختار عمر، أحمد مختار عمر، بلا محقق، الط.1، عالم الكتب، القاهرة، 1982م، 112/1.

[5] مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، 221/1.

[6] الدر المصون في علوم الكتاب المكنون: السمين الحلبي، محمد بن يوسف، تحقيق: أحمد محمد الخراط، ط.1، دار القلم، دمشق، 1986م، 243/1.

[7] المفصل في علم العربية: الزمخشري، محمود بن عمر، تحقيق: علي أبو ملحم، ط.1، دار الجيل، بيروت، 1986م، 104/1.

وعدٌ مستقبلٌ محقّق الوقوع. فالتفسير الرشيد يُمسك بهذه الفوارق عند بيان الإطلاق والتقييد.[8]

8. الربط النصّي وترتيب الزمن: (ثم/فـ) بين التراخي والتعقيب

تُفيد الفاء التعقيب القريب، وتفيد ثمّ الترتيبَ مع التراخي، لكنّ التراخي قد يكونُ زمنياً أو رتبيّاً معنوياً؛ وقد فصّل عبد القاهر في أنّ "النظم" قائم على علاقات المعاني، وأنّ الترتيب قد يراد به تفاضل الرتب لا تباعد الأزمنة، فتنبّه إلى أنّ حمل (ثمّ) على الزمن دائماً يوقع في التفسير تعسّفاً.[9]

9. الماضي للمستقبل (تحقيق الوقوع) ووظيفة التوكيد

يُعدُّ التعبير بالماضي عن المستقبل أسلوباً قرآنياً للتوكيد والتحقيق، نحو: ﴿**أتى أمر الله فلا تستعجلوه**﴾؛ فهو للتقريب الذهني وإفادة اليقين. ويبيّن المفسّرون أن القرينة السياقية هي العاصم من توهّم وقوع الحدث وانقضائه حقيقةً؛ فالآية تنهى عن الاستعجال، وتؤكّد قطع وقوع الأمر وإن تأخر ظهوره.[10]

10. المضارع للحكاية والتصوير واستحضار المشهد

ومن ظواهر البلاغة القرآنية توظيف المضارع للحكاية التصويرية، كقوله تعالى في قصة أصحاب الكهف: ﴿**وترى الشمس إذا طلعت تزاور عن كهفهم**...﴾؛ فانتقال الخطاب من الماضي إلى المضارع يُنشئ صورةً حيّةً تُعايَن فيها الحركة، ويُفهم منها—مع القرائن—حالة الوقاية الربانية لهم. وهذا الأسلوب يؤثّر مباشرةً في توجيه التفسير؛ إذ يحمل القارئ على قراءة مشهدية لا خبرية جامدة.[11]

11. دوام الصفات الإلهية بين الدوام الذاتي والدوام النسبي

إذا قيل: ﴿**وكان الله غفوراً رحيماً**﴾، فليس المرادُ قصر المغفرة والرحمة على زمن ماض؛ بل (كان) هنا لدوامِ الصفة، و(كان) في لسان العرب أوسع من القِسر الزمني، فتجيء لبيان أنّ ما ثبت قديماً باقٍ لا يزول. ويحرّر ابن عاشور أنّ الإخبار بـ(كان) عن صفات الله جارٍ على عادة العرب في تقوية الحكم وإفادة الرسوخ.[12]

12. أثر الزمن في تضييق أو توسيع الحكم التفسيري

قد يختلف الحكم الفقهي أو الوعظي تبعاً لتعيين الزمن: فالأمر المجرّد في سياق التأسيس يُحمل على الفور أو التراخي بحسب المقام، و(لن) في سياق الردّ قد تفيد تأبيد النفي أو مجرّد تأكيده في أمد مخصوص بدلالة خارجية. ومن هنا جاءت عناية المفسّرين بقرائن الزمن والجانب؛ لما لها من أثر في ترجيح أو صرف.[13]

13. (س) و(سوف): فروق الدلالة بين قرب الاستقبال وبُعده

---

[8] معاني القرآن وإعرابه: الزجاج، إبراهيم بن السري، تحقيق: عبد الجليل عبده شلبي، ط.1، عالم الكتب، بيروت، 1988م، 216/1.

[9] دلائل الإعجاز: الجرجاني، عبد القاهر بن عبد الرحمن، تحقيق: محمود محمد شاكر، ط.3، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1992م، 52/1.

[10] جامع البيان عن تأويل آي القرآن: الطبري، محمد بن جرير، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، ط.1، دار هجر، القاهرة، 2001م، 5/14.

[11] الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل: الزمخشري، محمود بن عمر، بلا محقق، ط.3، دار الكتاب العربي، بيروت، 1987م، 401/2.

[12] التحرير والتنوير: ابن عاشور، محمد الطاهر بن عاشور، بلا محقق، الدار التونسية للنشر، تونس، 1984م، 292/5.

[13] الجامع لأحكام القرآن: القرطبي، محمد بن أحمد الأنصاري، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، ط.2، دار الكتب المصرية، القاهرة، 1964م، 204/10.

يقرر النحاة أنّ السين تقرّب زمن الفعل، وأن (سوف) تبعّده نسبياً؛ غير أنّ هذا البُعد نسبيّ يُراعَى فيه المقام؛ فربّما جيء بـ(سوف) للتهويل أو لمطلق الاستقبال دون دلالة كمية محسوبة. وتُستقرأ هذه الفروق في أساليب القرآن حيث تتلوّن بحسب الغرض من الوعيد أو الوعد.[14]

14. النفي الزمني: (لم/لن/لما) وحدود القراءة:

يفيد (لم) قلب زمن المضارع إلى الماضي ونفي حصوله، وتفيد (لن) نفي الاستقبال، و(لما) نفي الوقوع إلى زمن الكلام مع توقّع الحدوث؛ وهذه الفروق الدقيقة تكشف كيف يُعاد بناء الزمن من خلال الأداة، وأنّ حمل أقوال المفسّرين على هذه الفروق يُنتج قراءةً أدقّ للنصّ.[15]

15. العادة والاطراد: زمنٌ أم جانب؟

تتداخل العادة مع الزمن؛ فقولنا في مقام التشريع العام: ﴿إن الله يأمر بالعدل والإحسان﴾ يُفيد دوام الحكم واعتياده، لا مجرّد الحال؛ وفي هذا تُقرأ العادة بوصفها جانباً دلالياً لا زمناً صرفاً؛ إذ قد يجيء التعبير بالمضارع للدلالة على الاستمرار التشريعي ولو لم يكن في الحال واقعاً بالفعل من كل مكلّف.[16]

16. التلازم بين الزمن والربط السببي:

قد يُوهم الترتيب الزمني—إذا أُخذ حرفياً—بأن كلَّ (فـ) سببية، وكل (ثمّ) زمانية؛ والصواب أن السببية قد تُستفاد مع الفاء، وأنّ (ثمّ) قد تقع للمرتبة لا للزمن؛ والعبرة بالمعنى والسياق. وهذا التلازم بين الزمن والسببية من مفاتيح الفهم في مواضع القصص والحِجاج القرآني.[17]

17. تحوّلات الزمن داخل السرد: الالتفات بين ماضٍ ومضارع:

الانتقال من الماضي إلى المضارع داخل القصة ليس ترفاً بيانياً، بل تقنية لخلق توتر سرديّ واستحضار للحدث، كما في قصة أصحاب الكهف، أو في تصوير مشاهد القيامة؛ وهذا الانتقال يُوجّه التفسير لفهم زاوية النظر وكيف يريد النص أن يُدخِل القارئ في زمن الحدث.[18]

18. (كان) والفعل المضارع: صياغة الاستمرار الممتد:

تركيب (كان + مضارع) يدلّ على الاستمرار في الماضي، أو الخلفية الممتدّة التي تُعطي معنى العادة الماضية: وكان يفعل كذا؛ وهذا التركيب—في نصوص كثيرة—يُستنطق في التفسير لبناء صورة زمنية أوسع من جملة واحدة.[19]

19. نحو نموذج إجرائي يضبط المفاهيم الثلاثة:

---

[14] معاني القرآن: الفراء، يحيى بن زياد، تحقيق: أحمد يوسف نجاتي ومحمد علي النجار وعبد الفتاح إسماعيل شلبي، ط.1، دار المصرية للتأليف والترجمة، القاهرة، 1955م، 45/1.

[15] الإتقان في علوم القرآن: السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط.1، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1974م، 178/2.

[16] دراسات لأسلوب القرآن الكريم: محمد عبد الخالق عضيمة، محمد عبد الخالق عضيمة، بلا محقق، ط.1، عالم الكتب، القاهرة، 1992م، 87/1.

[17] دلائل الإعجاز: الجرجاني، عبد القاهر بن عبد الرحمن، تحقيق: محمود محمد شاكر، ط.3، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1992م، 146/1.

[18] الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل: الزمخشري، محمود بن عمر، بلا محقق، ط.3، دار الكتاب العربي، بيروت، 1987م، 27/3.

[19] أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك: ابن هشام، عبد الله بن يوسف، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، الط.4، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1955م، 56/2.

المحصّلةُ أنّ الزمن يُحدّد موقع الحدث، والجانب يحدّد هيئته (إنجاز/استمرار/عادة)، والمزاج يحدّد موقف المتكلّم (خبر/إنشاء). والقراءة المنهجية في التفسير تبدأ بتعيين الصيغة، ثم جمع القرائن (الأدوات، الظروف، الربط)، ثم حمل المعنى على ما يقتضيه مجموع ذلك، مع مراجعة الاستعمال القرآني في النظائر. وبهذا ينضبط الخلافُ ويقتربُ الترجيح.[20]

المطلب الثاني: أدواتُ الزمن والقرائنُ السياقيةُ المؤثِّرةُ في التوجيه

يتعلّق توجيهُ الدلالة الزمنية في الآيات بعناصرَ متشابكةٍ أبرزُها: أدواتُ الزمن (قد، س/سوف، لم/لن/لما...)، والظروفُ الزمانية (إذ/إذا/حين...)، وروابطُ النظم (ثم/ف/الواو)، والبنى النحوية المُنشِئة لخلفيّةٍ زمنية (كان وأخواتها، كاد وأخواتها، الجملةُ الحالية)، مع قرائنٍ مقامية وبلاغية (التقديم والتأخير، الالتفات، القسم، الشرط...). والمقصود هنا ليس حصرَ كلّ ما له مساس بالزمن، بل بناءُ خريطةٍ منهجية تُظهِر كيف تُنتِج هذه الأدوات—مجتمعةً—قراءةً تفسيريةً أدقّ وأقربَ إلى مراد النصّ.

1. (قد) بين التحقيق والتوقّع/التقليل

تُعَدُّ (قد) أداة ضبط دقيقة بين الصيغة والسياق؛ فهي مع الماضي تُفيد—في الأعمّ—تحقيق الوقوع، كقوله تعالى ﴿قد جاءكم من الله نور﴾، ومع المضارع تتردّد بين التقليل ﴿**قد يعلم الله المعوّقين**﴾ والتوقّع أو التكثير بحسب المقام، وهو ما يجعل المفسّر يقرأ أثرها في تضييق أو توسيع الدلالة: أهي تقرير وقوع محقّق أم استشرافٌ لحدوث متجدّد؟ ومن ثمّ لا يصحّ تعليق الحكم على الصيغة وحدها دون (قد) وسياقها.[21]

2. السين وسوف: درجاتُ الاستقبال ووظائفُ المقام

يفرّق النحاة بين السين وسوف؛ فالسينُ أقربُ زمانًا، و«سوف» أبعدُ نسبيًا، غير أنّ هذا «البعد/القرب» مقاميٌّ لا حسابيّ؛ إذ قد تأتي «سوف» للتهويل والتعظيم في الوعيد، أو للامتداد في الوعد، فتوجّه القراءةَ إلى سعة المدى لا إلى عدّ الساعات والأيام. لذلك يُحاكم المفسّر اختيارَ إحدى الأداتين إلى مقام الخطاب ونبرة السياق.[22]

3. (لم/لن/لما): النفيُ الزمنيّ وحدودُه

تعمل (لم) على قلب زمن المضارع إلى الماضي المنفي، وتدلّ (لن)—في أصل وضعها—على نفي الاستقبال مع تقوية معنى النفي، بينما تفيد «لما» نفيَ الوقوع إلى زمن الكلام مع توقّعه بعدُ. وهنا يتبدّى الفرقُ التفسيري: حملُ «لن» على التأبيد أو على مجرّد تأكيد المستقبل يتوقّف على قرائن خارجية، لا على الأداة مجردة.[23]

4. (كان) الناقصة: بناءُ الخلفيّة والدوامُ النسبيّ

تشيع (كان) الناقصة في القرآن لبناء خلفيّةٍ زمنية تُسنَدُ إليها الأحكام والوقائع: وكان الله غفوراً رحيماً؛ فيفهم أهلُ البيان الدوامَ الذاتيَّ لصفات الله، ويفهم النحاةُ الدوامَ النسبي الذي ينساق مع المقام، كما تُنشئ (كان)—في القصص—بساطاً معرفياً لفهم العِلَل (وكان أبواه مؤمنين). أثرُ ذلك في التفسير بيّنٌ؛ إذ يُحدِّد

---

[20] البرهان في علوم القرآن: الزركشي، بدر الدين محمد بن عبد الله، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط.1، دار المعرفة، بيروت، 1971م، 133/2.

[21] المصدر نفسه، 174/1

[22] معاني القرآن: الفراء، يحيى بن زياد، تحقيق: أحمد يوسف نجاتي ومحمد علي النجار وعبد الفتاح إسماعيل شلبي، الط.1، المؤسسة المصرية العامة، القاهرة، 1955م، 49/1.

[23] الإتقان في علوم القرآن: السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الط.1، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1974م، 179/2.

(زمنَ) الحكم ومداه.[24]

5. (كان + مضارع): الاستمرارُ في الماضي

إذا اقترنت (كان) بالمضارع (كان يفعل) دلّت على الاستمرار في الماضي، وهو معنى دقيق يفيد عادةً مطّردةً أو فعلاً متكرّراً، ويمكّن المفسّر من تمييز الحدث العابر من السلوك المديد ضمن السياق القصصي أو التشريعي.[25]

6. (كاد وأخواته)»: مقاربةُ الفعل ودلالةُ القرب

تفيد (كاد) وأخواتها مقاربةَ الوقوع، وتُربك أحيانًا القراءةَ الزمنية إن لم تُفهم باعتبارها دالّةً على الجانب المفاهيمي أكثر من كونها محدِّدةً لموضع الحدث في الزمن؛ فهي تُصوّر قُرباً من الفعل أو شُروعاً فيه، ما ينعكس على الحكم التفسيري في تقدير تحقق الغاية أو انتفائها.[26]

7. (إذ/إذا): ماضٍ محقَّقٌ واستقبالٌ مُتوقَّع

تُستعمل (إذ) للأزمنة الماضية، وتأتي «إذا» للاستقبال أو للحال المفاجئة، ويترتّب على الاختيار بينهما زاويةُ نظرٍ زمنية مختلفة: إذ قال ربّك للملائكة يحكي ماضياً محقّقاً، وإذا جاء نصر الله يستشرف مستقبلاً مقطوعاً به. الفرقُ دلاليّ حاسم في ضبط الإطلاق والتقييد.[27]

8. الظروف الزمانية: (حين/وقت/يوم...)

توفّر الظروف الزمانية إطاراً صريحاً يقيّد الحكم بدائرة زمنية: حين، وقت، يوم، غدوّ/آصال، وهي قرائنُ تُحدِّد مجالَ الانطباق في التفسير: أهو مقيّدٌ بزمنٍ مخصوص أم هو حكمٌ مطّرد؟ لذا يُقرأ الظرف مع فعلِه والنظمِ المحيط.[28]

9. ثم/فـ: ترتيبٌ زمنيّ أم رتبيّ؟

تفيد الفاء التعقيبَ القريب، وتفيد ثم الترتيبَ مع التراخي، غير أنّ التراخي قد يكون زمنيّاً أو رتبيّاً معنويّاً؛ وقد نَبَّه عبد القاهر إلى أن النظم يلحظ علائق المعاني قبل ظاهر الأزمنة، فـ(ثم) قد تفيد تفاضلَ الرُّتب لا الأزمان فحسب، وهو فارقٌ يُغني التفسير عن توهّم لزوم الفاصل الزمني دائماً.[29]

10. الواو: جمعٌ لا ترتيب

الأصل في الواو أنّها لمطلق الجمع دون إفادة ترتيبٍ أو تعقيب، إلا أن يُستفاد الترتيبُ من قرائن أُخر. وهذا يُلزم المفسّر بالحذر من بناء تسلسلٍ زمنيٍّ على الواو وحدها؛ فالواو تفتح باب السَّعة الدلالية التي تُحاكمها

---

[24] الدر المصون في علوم الكتاب المكنون: السمين الحلبي، محمد بن يوسف، تحقيق: أحمد محمد الخراط، الط.1، دار القلم، دمشق، 1986م، 246/1.

[25] شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك: ابن عقيل، عبد الله بن عبد الرحمن، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، الط.7، دار التراث، القاهرة، 1980م، 287/2.

[26] مغني اللبيب عن كتب الأعاريب: ابن هشام، عبد الله بن يوسف، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، الط.1، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1951م، 356/1.

[27] معاني القرآن وإعرابه: الزجّاج، إبراهيم بن السري، تحقيق: عبد الجليل عبده شلبي، الط.1، عالم الكتب، بيروت، 1988م، 219/1.

[28] المفصل في علم العربية: الزمخشري، محمود بن عمر، تحقيق: علي أبو ملحم، الط.1، دار الجيل، بيروت، 1986م، 61/2.

[29] دلائل الإعجاز: الجرجاني، عبد القاهر بن عبد الرحمن، تحقيق: محمود محمد شاكر، الط.3، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1992م، 148/1.

قرائن السياق.[30]

11. أدواتُ الشرط: (إن/إذا/لو/لولا)

تدخل أدواتُ الشرط على الجملة فتُنشئ علاقةً زمنيةً وسببيةً معاً؛ فـ(إذا) تغلب على المحقَّق الوقوع و(إن) على المشكوك، و(لو) لامتناع الشرط وامتناع الجواب أو لامتناع الشرط ولزوم جوابٍ تصوّري، و(لولا) امتناعٌ لوجود. يترتّب على ذلك ضوابطُ في حمل الوعود والوعيد وأحكامٍ متفرّعة.[31]

12. القسم ولامُ الجواب

يدخل القسم لتوكيد الحكم وربطه زمنيًا بما بعده عبر لام الجواب (تالله لتسألنَّ)، فتُقوّي اللامُ الصلةَ بين المقسم عليه وزمان تحقّقه؛ مما يجعل تقديرَ التحقّق والاستقبال أدقّ عند المفسّر.[32]

13. (إذاً): شرطُها وعملُها

تُنصب (إذاً) المضارع بشروطٍ مشهورة (أن تتصدر، وألا يفصل بينها وبين الفعل إلا قسمٌ أو لا النافية)، ودلالتها على الاستقبال مع التوكيد، ما ينعكس على حمل الجملة على الوعد/الوعيد أو التقرير.[33]

14. الراغب في المفردات: معجمُ الزمن القرآني

يُفيد معجم الراغب في تحرير دلالة الألفاظ الزمنية القرآنية (العشيّ، الإبكار، الغدوّ، الأصال)، وتفرّق هذه الموارد بين أوقاتٍ لها آثارٌ تعبدية أو تربوية، فينعكس ذلك على فهم العموم والخصوص في الأمر والنهي.[34]

15. السياقُ المقاميّ واعتبارُ مقتضى الحال

يُصرّ الشاطبي على أن مقتضى الحال أصلٌ في توجيه المعاني؛ فتتبّع المقام—حِجاجاً أو تقريراً أو سرداً—يُحدّد قيمة الأداة الزمنية: أهي للتحقيق أو للتهويل أو للتصوير؟ ومن ثمّ تُحمل دلالة الماضي للمستقبل أو المضارع للحكاية على مقتضيات المقام لا على ظاهر الصيغة وحدها.[35]

16. النَّظم القرآني: مناسبةُ الآيات وتوجيهُ الزمن

يُبرز البقاعي أن المناسبة بين الآيات والسور تضبط ترتيبَ الوقائع ومعانيها؛ فاختيار الفاء أو ثمّ أو حذف الروابط يجيء مقصوداً لخدمة مقصد السورة. فيُقرأ الزمنُ على هدي النَّسَق لا مفصولاً عنه.[36]

17. اختلافُ القراءات وأثرُه في الزمن

---

[30] شرح المفصّل: ابن يعيش، موفق الدين يحيى بن علي، تحقيق: إميل بدري وعبد الحليم النجار، الط.1، دار المعارف، القاهرة، 1985م، 12/3.

[31] التسهيل لعلوم النحو: ابن مالك، محمد بن عبد الله، تحقيق: عبد الرحمن السيد ومحمد بدوي المختون، الط.1، جامعة أم القرى، مكة، 1980م، 258/1.

[32] الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل: الزمخشري، محمود بن عمر، بلا محقق، الط.3، دار الكتاب العربي، بيروت، 1987م، 284/1.

[33] الكتاب: سيبويه، عمرو بن عثمان بن قنبر، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، الط.3، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1988م، 430/1.

[34] مفردات ألفاظ القرآن: الراغب الأصفهاني، الحسين بن محمد، تحقيق: صفوان عدنان داوودي، الط.1، دار القلم، دمشق، 2009م، ص/372.

[35] الموافقات: الشاطبي، إبراهيم بن موسى، تحقيق: عبد الله دراز، الط.1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1997م، 286/3.

[36] نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: البقاعي، إبراهيم بن عمر، تحقيق: عبد الرزاق غالب المهدي، الط.1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1995م، 21/1.

قد يؤثر اختلاف القراءات في توجيه الزمن (ماضٍ/مضارع) أو في تقوية التحقيق أو الاستمرار؛ ومن ثمّ ينبغي ضمّ القراءات في الموضع الواحد قبل الترجيح التفسيري، إذ قد تُنتج كلّ قراءة زاويةً زمنية تُغني المعنى.[37]

18. التقديمُ والتأخيرُ وبناءُ الإيقاع الزمني

يفصّل عبد القاهر في أنّ التقديم والتأخير ليس مجرّد صناعة لفظية؛ بل يُعيد ترتيب الإيقاع الزمني أو الذهني للخبر، فيقدّم ما حقّه التأخير ليفيد اختصاصًا أو اهتمامًا، فتتبدّل زاوية الزمن في التلقّي، ويترتّب عليه أحكامٌ تفسيرية في القصر والحصر.[38]

19. الجملةُ الحالية: وقد/وهو/وقد كان

تُنشئ الجملةُ الحالية إطارًا آنيًّا يجاور الحدث (جاء زيدٌ وهو يضحك)، وتكثر في القرآن صورُ الحال الاسمية والفعلية، ومعها أدواتٌ كـ«وقد» التي تقرّب وقوعَ الفعل؛ وبذلك تُعطي الحالُ لقطةً زمنية لا يتمّ استيعاب المعنى دونها.[39]

20. (حتى) الغائية والزمنية

تأتي (حتى) للغاية مكاناً أو زماناً؛ ومع الأفعال قد تفيد انتهاءَ الغاية أو التعليل مجازًا، ويختلف معنى الجملة تبعاً لذلك: أهو تحديدُ أمدٍ زمني أم بيانُ علّةٍ معنوية؟ وضبطُ هذا يغيّر وجهًا من وجوه التفسير.[40]

21. تطبيقٌ موجَّه في سورة النحل

في مطلع سورة النحل: ﴿**أتى أمرُ الله فلا تستعجلوه**﴾، نرى الماضي للمستقبل توكيداً، ثم يشيع المضارعُ في مواضع النِّعم والتشريع (يأمر بالعدل... نسقيكم...) للدلالة على الاستمرار أو العادة؛ وتدخل أدوات كـ(قد) و(لن) و(سوف) لتفصيل درجات التحقيق والاستقبال. فينعكس ذلك على حملِ المفسِّر للآيات: أهي تقريرُ سننٍ جارية أم وعدٌ مستقبليٌّ محقّق؟[41]

22. تطبيقٌ موجَّه في سورة الكهف:

يغلب في الكهف المضارعُ التصويري (وترى... تزاور... تقرضهم) لاستحضار المشهد، وتتولّى (كان) بناء الخلفية (وكان أبواه مؤمنين)، وتضبط السينُ الاستقبالَ في سيقولون لقطع الجدل. هذه الشبكةُ من الأدوات تُنتج قراءةً تجعل التصويرَ الزمنيّ جزءًا من مقصد السورة في التربية والتثبيت.[42]

---

[37] النشر في القراءات العشر: ابن الجزري، محمد بن محمد، تحقيق: علي محمد الضباع، الط.1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1998م، 335/1.

[38] أسرار البلاغة: الجرجاني، عبد القاهر بن عبد الرحمن، تحقيق: محمود محمد شاكر، الط.3، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1992م، 208/1.

[39] أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك: ابن هشام، عبد الله بن يوسف، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، الط.4، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1955م، 112/3.

[40] مغني اللبيب عن كتب الأعاريب: ابن هشام، عبد الله بن يوسف، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، الط.1، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1951م، 312/1.

[41] الجامع لأحكام القرآن: القرطبي، محمد بن أحمد الأنصاري، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، الط.2، دار الكتب المصرية، القاهرة، 1964م، 206/10.

[42] جامع البيان عن تأويل آي القرآن: الطبري، محمد بن جرير، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، الط.1، دار هجر، القاهرة، 2001م، 218/15.

المبحثُ الثاني: الإطارُ المنهجي لتطبيق الدلالة الزمنية على سورتي النحل والكهف

المطلبُ الأوّل: مبادئُ القراءة الزمنية وقواعدُ الترجيح

تنطلقُ هذه القراءة من مسلّمةٍ بسيطةٍ وعميقة: إنَّ زمنَ الفعل في القرآن لا يُفهم من الصيغة وحدها، بل من شبكةٍ تتساند فيها الصيغة (ماضٍ/مضارع/أمر)، والجانب الدلاليّ (إنجاز/استمرار/عادة/تصوير)، والمزاج (خبري/إنشائي)، ومعها الأدوات والظروف والروابط (قد، س/سوف، لم/لن، إذ/إذا، ثُمَّ/فـ/الواو...)؛ فالسياقُ والنَّظْم هما اللذان ينقلان الفعل بين دوائر المعنى. وقد قرّر الأصولُ والبلاغيون قاعدةَ «السياق قبل القياس»، وأنَّ القرينة مقدَّمةٌ على ظاهر الصيغة عند التعارض[43]، وهو ما تُثبته أمثلة السورتين مدارِ البحث.

1. الماضي قد يُنقل إلى "تحقيق الوقوع" بقرائن الخطاب

يَرِد الماضي أحياناً لتوكيد المستقبل إذا احتفّ بنهيٍ عن استعجالٍ أو بسياق وعدٍ/وعيد؛ ففي افتتاح النحل: ﴿**أتى أمرُ الله فلا تستعجلوه**﴾ ليس إخباراً بوقوعٍ منقضٍ، بل نقلٌ للموعود إلى دائرة اليقين؛ ويعضده النهي عن الاستعجال. وهذا الوجه هو الذي رجّحه الطبري في مناقشة حمل (أمر الله) على العذاب أو الساعة، وردَّ حملَه على الفرائض لأنه لا معنى لاستعجالها قبل نزولها. وفي الكهف يَرِد الماضي على وجه السرد التاريخي في القصص، لكنّ القرينة قد تشحنه بحضورٍ وعيدِيٍّ حين يتصل بالعاقبة، كما في ختام مشاهد الجدال.[44]

2. المضارع بين العادة/الدوام" و"التصوير"

المضارع لا يُحمل آليّاً على الحال؛ ففي النحل يُستعمل لوصف سننٍ دائمة: ﴿**ينزِّلُ الملائكةَ بالروح**﴾ (استمرار سُنّة الوحي)، و﴿**نسقيكم**﴾، ﴿**تسكنون**﴾ في آيات النِّعم—وهو ما يفيد الاعتياد والاطراد. أمّا في الكهف فيتحوّل المضارع إلى تقنية تصوير: ﴿**وترى الشمس إذا طلعت تزاورُ عن كهفهم**...﴾ يستحضر حركةَ المشهد ويجعل القارئ يراه، لا يسمع عنه فحسب.[45]

3. وزنُ "المزاج" (الخبري/الإنشائي) في ضبط الزمن

قد تنقلُ صيغةُ الأمر والنهي المعنى من خبرٍ إلى التزامٍ مستقبلي أو كفٍّ عمّا سيقع؛ ففي النحل: ﴿**ادعُ إلى سبيل ربك بالحكمة**﴾ أمرٌ يُنشئ دوامَ الدعوة؛ وفي الكهف: ﴿**ولا تقولنَّ لشيءٍ إني فاعلٌ ذلك غدًا إلا أن يشاء الله**﴾ نهيٌ يضبط الوعدَ المستقبليَّ بقرينة المشيئة، فتغدو إدارة الزمن جزءاً من التربية المنهجيّة.[46]

4. (قد): تحقيقٌ مع الماضي، وتوقّع/تقليل مع المضارع بحسب المقام

تقرّر صناعةُ البيان أنّ قد مع الماضي للتحقيق الغالب: ﴿**ولقد بعثنا في كل أمة رسولاً**﴾، ومع المضارع تتردد بين التقليل والتوقّع بحسب السياق: وفي سورة الكهف: ﴿**ولقد صرَّفنا**...﴾ تقريرٌ مُحكَم لتكرر البيان.[47]

5. علاماتُ الاستقبال: (سوف/سـ) وقرائنها

---

[43] الزركشي، البرهان في علوم القرآن، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط1، دار المعرفة، بيروت، 1971م، 1/174–176.

[44] طبري، جامع البيان، تحقيق: عبد الله التركي، ط1، دار هجر، القاهرة، 2001م، 17/162–165.

[45] الألوسي، روح المعاني، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1999م، 2/16 (النحل/2: الروح = الوحي)؛ الزمخشري، الكشّاف، دار الكتاب العربي، بيروت، 1987م، 3/570–571.

[46] ابن هشام، مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1951م، 1/221، 1/307.

[47] السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1974م، 2/178–179؛ الطبري، جامع البيان، 17/278–280.

تدلّ (سوف) على امتدادٍ نسبي، و(سـ) على دنوٍّ نسبي؛ وفي النحل: ﴿**فتمتّعوا فسوف تعلمون**﴾ يشي بامتداد الوعيد، ويقوم مقامَهما أحيانًا لام الابتداء + نون التوكيد: ﴿**ولتُسألنَّ**﴾؛ وفي الكهف: ﴿**سيقولون ثلاثة رابعهم كلبهم... قل ربي أعلم**﴾ تأطيرٌ لاستقبال قولٍ يُقطعه الأمرُ بالتوقيف.[48]

6. صيغُ النفي وأثرُها الزمني (لن/لم/لا/ما)

لن تُقوّي نفيَ الاستقبال، ولم تنقل المضارع إلى ماضٍ منفي، ولا/ما بحسب المقام؛ ففي الكهف: ﴿**إنك لن تستطيع معي صبرًا**﴾ (نفيٌ مستقبلي مؤكَّد)، و﴿**ولم يجدوا عنها مصرفًا**﴾ (ماضٍ منفيٌّ بنتيجةٍ لازمة)؛ وفي النحل تُحكى دعاوى المشركين بنفيٍ عام: ﴿**لا يبعثُ الله من يموت**﴾ ثم يُقوَّض الخطابُ دعواهم.[49]

7. (إذ/إذا): زاويتان زمنيتان واضحتان

في سورة الكهف، تُغلب (إذ) للماضي المحقَّق: ﴿**إذ أوى الفتيةُ إلى الكهف**﴾، وتدل (إذا) في سورة النحل للحال المتجدِّد أو الاستقبال المحقَّق، كما في قوله تعالى: ﴿**ثم إذا كشف الضر عنكم إذا فريقٌ منكم**...﴾، إذ فيها تصوير لتكرار انقلاب بعض الناس بعد كشف البلاء.[50]

8. الروابطُ النَّظميّة (فـ/ثم/الواو) وعدم إسقاط ترتيبٍ زمني بلا قرينة

الفاءُ للتعقيب غالباً، وثمّ للترتيب مع تراخٍ قد يكون رتبياً لا زمنياً، والواو للجمع بلا ترتيب؛ ففي الكهف تتوالى فاءاتُ التعقيب في قصة موسى والخضر: ﴿**فانطلقا... فخرقها... فانطلقا... فقتلَه**...﴾؛ وفي النحل جاءت ثم لتصوير تراخٍ بعد كشف الضر.[51]

9. الجملةُ الحالية تلتقط "الآن" داخل السرد

الحالُ تُنشئ لقطةً زمنيةً تحكم التوجيه: ﴿**إلا من أُكره وقلبُه مطمئنٌّ بالإيمان**﴾ (النحل/106) تقيّدُ حكمَ الإكراه، و﴿**ودخل جنته وهو ظالمٌ لنفسه**﴾ (الكهف/34) تُعرّي الحالة الأخلاقية لحظة الدخول.[52]

10. التقديمُ والقصرُ يُسرّعان الدلالة ويثبتان الحكم

تغيّر أساليبُ القصر (إنما/النفي والاستثناء) والتقديم زاوية القراءة الزمنية: ﴿**إنما قولُنا لشيءٍ إذا أردناه أن نقول له كن فيكون**﴾ (النحل/40) تقريرٌ لسرعة النفاذ، و﴿**لكِنَّا هوَ اللهُ ربّي**﴾ (الكهف/38) قصرٌ يُعيد تأويل القصة أخلاقياً وزمنياً.[53]

المطلبُ الثاني: خرائطٌ زمنيةٌ موجّهة وتطبيقاتٌ مختصرة

أولاً: خريطة سورة النحل (مكّية)

تنتظم النحل على إيقاعٍ ثلاثيّ: تحقيقُ الموعود في الافتتاح، دوامُ النِّعم والتكليف في المتن، ثم درجاتُ الاستقبال والإنذار في الجدل. فالماضي في المطلع محمولٌ على التحقيق: ﴿**أتى أمرُ الله فلا تستعجلوه**﴾، يليه مضارعٌ تجدُّديّ ﴿**ينزّلُ الملائكةَ بالروح**﴾ يشي بسُنّة الوحي الجارية؛ ثم تتكاثر أفعالُ المضارع في آيات

---

[48] ابن هشام، مغني اللبيب، 307/1 (دلالة السين وسوف)؛ الطبري، جامع البيان، 217/15.

[49] السمين الحلبي، الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، تحقيق: أحمد محمد الخراط، دار القلم، دمشق، 1986م، 236/8–238؛ ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، تحقيق: سامي السلامة، دار طيبة، الرياض، 1999م، 667/3.

[50] الزجاج، معاني القرآن وإعرابه، تحقيق: عبد الجليل عبده شلبي، عالم الكتب، بيروت، 1988م، 93/3–95.

[51] عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، تحقيق: محمود محمد شاكر، ط3، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1992م، 146/1–148.

[52] ابن هشام، أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1955م، 41/1–44.

[53] السكاكي، مفتاح العلوم، تحقيق: نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت، 1987م، 15/2–20.

النِّعَم: ﴿**نسقيكم ... تسكنون...**﴾، وفي الآية الجامعة ﴿**إن الله يأمرُ بالعدل والإحسان**﴾ على معنى الدوام لا اللحظة العابرة؛ وعند مقاطع الجدل تظهر سوف/لن/لم لتفصيل درجات النفي والوعيد: ﴿**فتمتّعوا فسوف تعلمون**﴾، ﴿**ولتُسألنَّ**﴾—وهذه الشبكةُ الزمنية تعضُد مقصدَ السورة في تثبيت التوحيد بالحجّة والنِّعمة.[54]

ثانياً: خريطةُ سورة الكهف (مكّية)

تقوم الكهف على سردٍ قصصي تتخلّله تقنيات زمنية واضحة: مضارعٌ تصويري في مشهد الكهف ﴿**وترى الشمس... تزاور... تقرضهم**﴾ يستحضر الحركة ويجعل زمن المشهد حاضراً؛ ثم سين الاستقبال لضبط الجدل: ﴿**سيقولون ثلاثة رابعهم كلبهم... قل ربي أعلم**﴾ حيث يُدار الزمن الجدليّ بقطع التفصيل الذي لا طائل تحته؛ وأخيراً خلفيات (كان) في قصة الخضر ﴿**وكان وراءهم ملكٌ... وكان أبواه مؤمنين... وكان أبوهما صالحًا**﴾ التي تنقل مركزَ الفهم من زمن التنفيذ إلى زمن العلّة السابق واللاحق. وهكذا تُربّي السورة وعيًا بالزمن: ما يُرى الآن، وما ينبغي كفُّ الجدال فيه، وما تُفهم حكمتُه بقراءة الخلفية.[55]

ثالثاً: تطبيقات موجّهة (دراسات حالة)

النحل/1 – الماضي للتحقيق: اختيارُ الماضي في ﴿**أتى أمر الله**﴾ لتثبيت اليقين بالموعود، والنهي عن الاستعجال قرينةٌ صريحة على نقل المستقبل إلى حيّز التحقيق؛ وقد رجّح الطبري هذا الوجه على حمل الأمر على الفرائض.[56]

النحل/90 – مضارع الدوام التشريعي: ﴿**إن الله يأمر بالعدل والإحسان**...﴾ ذروةٌ تشريعية تُقرأ على التعميم والدوام؛ وقد نصّ ابن عاشور على كونها جامعة أصول التشريع.[57]

الكهف/17 – مضارع التصوير: ﴿**وترى الشمس... تزاور وتَقرضهم**﴾ تقنيةٌ تُدخِل القارئ في زمن المشهد لتظهير آية الحفظ واتجاه الكهف.[58]

الكهف/22 – استقبال القول وتوقيف الجدل: ﴿**سيقولون... قل ربي أعلم**﴾ توزيعٌ زمنيٌّ مقصود: استقبال قولٍ لا طائل فيه ثم قطعُه بالأمر التوقيفي.[59]

الكهف/79–82 – (كان) لبناء الخلفية التعليلية: (**كان**) في ﴿**وراءهم ملك**﴾، و﴿**أبواه مؤمنين**﴾، و﴿**أبوهما صالحًا**﴾ تُنشئ سياجاً زمنياً يُفهم به التعليل، لا سيّما في الجمع بين المصلحة الراهنة والمآل.[60]

رابعاً: قواعدٌ مُستخلَصة

أ- الماضي يُحمَل على التحقيق إذا اقترن بقرائن الوعد/الوعيد وكفّ الاستعجال (النحل/1).

ب- المضارع في سياق النِّعم والتكليف يُحمَل على الدوام والاعتياد (النحل/66–90، وخصوصاً 90).

ج- المضارع في السرد المشهدي—مع (إذا) واللقطات—يُحمَل على التصوير (الكهف/17).

---

[54] الطبري، جامع البيان، 17/162–165 (النحل/1)؛ الألوسي، روح المعاني، 16/2 (النحل/2)؛ ابن عاشور، التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر، تونس، 1984م، 16/255.

[55] الزمخشري، الكشاف، 3/570–571 (الكهف/17)؛ الطبري، جامع البيان، 15/217 (الكهف/22)؛ الرازي، مفاتيح الغيب، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1981م، 18/79–82.

[56] الطبري، جامع البيان، 17/162–165.

[57] ابن عاشور، التحرير والتنوير، 16/255.

[58] الزمخشري، الكشاف، 3/570–571.

[59] الطبري، جامع البيان، 15/217.

[60] الرازي، مفاتيح الغيب، 18/79–82؛ السمين الحلبي، الدر المصون، دار القلم، دمشق، 1986م، 8/... (مواضع الكهف/80–82).

د- (كان) في قصة الخضر خلفيةٌ زمنية لازمة لفهم العلل (الكهف/79–82).
ه- الروابطُ النَّظميّة تُحاكَم إلى المعنى: فاءُ التعقيب لتسريع الحدث، وثمّ للتراخي الرتبي/الزمني، والواو للجمع بلا ترتيب ما لم تنهض قرينة.

الخاتمة

أثبتت الدراسة أنَّ زمن الفعل في القرآن لا يقرأ من الصيغة وحدها، بل من شبكةٍ متداخلة تجمع الصيغة بالأداة والسياق والنَّظم. وقد بيّن التطبيق في النحل والكهف أنّ نقل الماضي إلى المستقبل للتحقيق، وتوظيف المضارع بين الدوام التشريعي والتصوير المشهدي، وبناء الخلفيّة بكان—كلّها آلياتٌ دلالية تُحوِّل اختيار الصيغة إلى قرينة تفسيرية حاسمة تؤثّر في نتائج عقدية وتشريعية وتربوية.

وانتهى البحث إلى قواعد عمل يمكن اعتمادها: (1) تقديم السياق قبل القياس عند التعارض، (2) ربط الحكم الدلالي بوجود الأداة (قد/س/سوف/لم/لن/لما) لا بالصيغة مجرّدة، (3) عدمُ بناء تسلسلٍ زمني على الواو بلا قرينة، واعتبار ثمّ للتراخي الرتبي متى دلّ السياق، (4) حمل قد مع الماضي على التحقيق غالبًا ومع المضارع على التوقّع/التقليل بحسب المقام، (5) قراءة كان لبناء الخلفيّة والدوام النسبي لا لمجرّد الماضي النحوي.

وتفتح النتائج آفاقاً للبحث: (أ) تعميم الإطار على سورٍ أخرى وفق خرائط زمنية مقارنة، (ب) إدخال القراءات في التحليل حين تؤثّر في الزمن أو الجانب، (ج) بناء وسومٍ رقمية لنصّ المصحف تُعين المفسّر والدارس، (د) إجراء تحليل مدعوم بالمدوّنات لقياس توزّع الأدوات والزمن عبر الموضوعات القرآنية، (هـ) دراسة الأثر التطبيقي في الاستنباط الأصولي والفقهي حيث يترتّب الحكم على ضبط الزمن والجانب. وبهذا تؤكّد الدراسة أنّ اعتماد منهجٍ لسانيٍ دقيق في قراءة الزمن القرآني يُسهم في ترشيد الخلاف التفسيري، ويعيد وصل التفسير بنظام اللغة واستعمالها في القرآن الكريم.

المصادر والمراجع:

أولاً: القرآن الكريم

ثانياً: المصادر والمراجع

1. الإتقان في علوم القرآن: السيوطي، محمد أبو الفضل جلال الدين عبد الرحمن، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط.1، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1974م.
2. أسرار البلاغة: الجرجاني، عبد القاهر بن عبد الرحمن، تحقيق: محمود محمد شاكر، الط.3، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1992م، 208/1.
3. أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك: ابن هشام، عبد الله بن يوسف، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، الط.4، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1955م.
4. البرهان في علوم القرآن: الزركشي، بدر الدين محمد بن عبد الله، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط.1، دار المعرفة، بيروت، 1971م.
5. التحرير والتنوير: ابن عاشور، محمد الطاهر بن عاشور، بلا محقق، الدار التونسية للنشر، تونس، 1984م.
6. التسهيل لعلوم النحو: ابن مالك، محمد بن عبد الله، تحقيق: عبد الرحمن السيد ومحمد بدوي المختون، الط.1، جامعة أم القرى، مكة، 1980م.
7. جامع البيان عن تأويل آي القرآن: الطبري، محمد بن جرير، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، الط.1، دار هجر، القاهرة، 2001م.
8. الجامع لأحكام القرآن: القرطبي، محمد بن أحمد الأنصاري، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش،

الط.2، دار الكتب المصرية، القاهرة، 1964م.
9. الدر المصون في علوم الكتاب المكنون: السمين الحلبي، محمد بن يوسف، تحقيق: أحمد محمد الخراط، الط.1، دار القلم، دمشق، 1986م.
10. دراسات لأسلوب القرآن الكريم: محمد عبد الخالق عضيمة، ط.1، عالم الكتب، القاهرة، 1992م.
11. دلائل الإعجاز، الجرجاني، عبد القاهر بن عبد الرحمن، تحقيق: محمود محمد شاكر، ط.3، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1992م.
12. روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، الألوسي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1999م.
13. الزجاج، معاني القرآن وإعرابه، تحقيق: عبد الجليل عبده شلبي، عالم الكتب، بيروت، 1988م.
14. شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك: ابن عقيل، عبد الله بن عبد الرحمن، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، الط.7، دار التراث، القاهرة، 1980م.
15. شرح المفصّل: ابن يعيش، موفق الدين يحيى بن علي، تحقيق: إميل بدري وعبد الحليم النجار، الط.1، دار المعارف، القاهرة، 1985م.
16. علم الدلالة، أحمد مختار عمر، أحمد مختار عمر، بلا محقق، الط.1، عالم الكتب، القاهرة، 1982م.
17. الكتاب، سيبويه، عمرو بن عثمان بن قنبر، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، الط.3، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1988م.
18. الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، الزمخشري، محمود بن عمر، بلا محقق، ط.3، دار الكتاب العربي، بيروت، 1987م.
19. اللغة العربية معناها ومبناها، تمام حسان، تمام حسان، بلا محقّق، ط.3، عالم الكتب، القاهرة، 2004م.
20. معاني القرآن وإعرابه، الزجّاج، إبراهيم بن السري، تحقيق: عبد الجليل عبده شلبي، الط.1، عالم الكتب، بيروت، 1988م.
21. معاني القرآن، الفراء، يحيى بن زياد، تحقيق: أحمد يوسف نجاتي ومحمد علي النجار وعبد الفتاح إسماعيل شلبي، الط.1، المؤسسة المصرية العامة، القاهرة، 1955م.
22. مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، ابن هشام، عبد الله بن يوسف، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، الط.1، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1951م.
23. مفتاح العلوم، السكاكي، تحقيق: نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت، 1987م، 15/2–20.
24. مفردات ألفاظ القرآن، الراغب الأصفهاني، الحسين بن محمد، تحقيق: صفوان عدنان داوودي، الط.1، دار القلم، دمشق، 2009م.
25. المفصل في علم العربية، الزمخشري، محمود بن عمر، تحقيق: علي أبو ملحم، ط.1، دار الجيل، بيروت، 1986م.
26. الموافقات، الشاطبي، إبراهيم بن موسى، تحقيق: عبد الله دراز، الط.1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1997م.
27. النشر في القراءات العشر، ابن الجزري، محمد بن محمد، تحقيق: علي محمد الضباع، الط.1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1998م.
28. نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، البقاعي، إبراهيم بن عمر، تحقيق: عبد الرزاق غالب المهدي، الط.1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1995م.